إرميا ٣١: ٣١-٣٤
عهدٌ لن يُنقض

أ. أنطوان عوكر

مقدّمة

قبل أن نبدأ بدراسة نصّ إرميا ٣١: ٣١-٣٤، لا بدّ من إعطاء بعض الملاحظات التمهيديّة.

أوّلاً: نصّ إرميا ٣١ هو النصّ الوحيد في كتب العهد القديم الذي يورد عبارة «عهد جديد». نجد هذه العبارة في نصوص جماعة قمران؛ ومن ثمّ تظهر في كتب «العهد الجديد».

ثانيًا: هناك فوارق عديدة في تسلسل نصّ نبوءة إرميا بين النصّ الماسوريّ والنصّ السبعينيّ. فالنصّ الذي يستوقفنا (إر ٣١: ٣١-٣٤ في النصّ الماسوريّ) يتوافق مع إرميا ٣٨: ٣١-٣٤ في النصّ السبعينيّ.

ثالثًا: من جهة نقد النصوص، يظهر أنّه لا توجد اختلافات أساسيّة وجوهريّة بين الشواهد، إن في النصّ الماسوريّ أو في النصّ السبعينيّ. فالنصوص التي سنعتمدها تحظى بموافقة معظم شارحي الكتاب المقدّس.

رابعًا: لن نتوقّف على الاختلافات بين النصّ الماسوريّ والنصّ السبعينيّ. نورد هذا الأخير لمَن يُريد المُقارنة؛ أمّا دراستنا فسترتكز على النصّ العبريّ فقط.

تأتي دراستنا لنصّ إر ٣١: ٣١-٣٤ على ثلاث مراحل: أوّلاً، سنتوقّف على إطاره الكتابيّ؛ ثانيًا، سنُبرز بُنيته الأدبيّة؛ أخيرًا، سوف نستخلص جديد «العهد الجديد» الذي يتكلّم عليه.

١- إطار النصّ وحدوده ووحدته

أ- الإطار الكتابيّ

يُشكّل الفصلان ٣٠-٣١ من كتاب إرميا إطارًا كتابيًا مباشرًا لنبوءة «العهد الجديد» في إرميا. يبدأ الفصل ٣٠ بالمقدّمة النبويّة المعتادة: «الكلمة التي كانت إلى إرميا من لدن الربّ قائلاً: هكذا قال الربّ، إله إسرائيل: أكتب لك جميع الكلمات التي كلّمتُكَ بها في كتاب» (آ ١-٢). وتتوالى الأقوال النبويّة حتّى نهاية الفصل ٣١. ومن جديد نقرأ المقدّمة النبويّة في مطلع الفصل ٣٢: «الكلمة التي كانت إلى إرميا من لدن الربّ، في السنة العاشرة لصدقيّا، ملكِ يهوذا، وهي السنة الثامنة عشرة لنبوكدنصّر. وكان حينئذٍ جيشُ ملك بابل يُحاصر أورشليم، وكان إرميا محبوسًا في دار الحرس الذي في بيت ملك يهوذا» (آ ١-٢). تفصل هاتان المقدّمتان بشكل واضح الفصلَيْن ٣٠-٣١. أضف إلى ذلك أن مطلع الفصل ٣٠ لا يُحدّد الزمان ولا المكان ولا مناسبة الأقوال التي ستليه، في حين أنّ مطلع الفصل ٣٢ يُحدّد كلّ تلك الأمور. من هنا يمكننا القول بأنّ الفصلَين ٣٠-٣١ يؤلّفان وحدة أدبيّة متكاملة تحتوي على إرميا ٣١: ٣١-٣٤.

ب- حدود النصّ

حدود إر ٣١: ٣١-٣٤ واضحة في البداية وفي النهاية. عبارة «ها أيّام تأتي، يقول الرب» التي ترد في ٣٠: ٣؛ ٣١: ٢٧؛ ٣١: ٣٨، تُشير كلّ مرّة إلى افتتاحيّة. ففي ٣٠: ٣ هناك بدء أقوال الربّ؛ ٣١: ٢٧ هي افتتاحيّة تُركّز على الانتقال من إعلان تجديد يهوذا (٣١: ٢٣-٢٦) إلى إعلان أنّ الربّ يسهر

على إسرائيل ويهوذا (٣١: ٢٧–٣١)؛ ٣١: ٣٨ هي بدء إعلان إعادة بناء المدينة (أورشليم). كذلك، وبشكل مُشابه، تُشكّل هذه العبارة في ٣١: ٣١ افتتاحيّة قول للربّ.

أمّا من جهة النهاية فالنصّ الذي يلي (٣١: ٣٥–٣٧) يبدأ بالعبارة التي تفتتح قولاً نبويًّا: «هكذا يقول الرب». هناك أيضًا اختلاف من جهة الأسلوب المُستعمل في هذه الآيات؛ إنّه أسلوب «كوني» يختلف عن الأسلوب المُستعمل في الآيات التي تستوقفنا. من هنا يظهر الفصل بين الآيتَين ٣٤ و٣٥ في الفصل ٣١.

ج– وحدة النصّ

موضوع القول الذي يرد في إر ٣١: ٣١–٣٤ فريد من نوعه في الإطار الكتابيّ المباشر: إنّه الكلام على «قطع عهد». إذًا، موضوع «العهد» يوحّد الآيات الأربع التي نحن بصددها. أمّا الوحدة الجوهريّة لهذه الآيات فنستنتجها من بُنيتها.

لموضوع «العهد الجديد» في إر ٣١: ٣١–٣٤
وهجٌ ما زال أثره يضج في النفوس، كما منذ ألفين وستمائة سنة وأكثر!

(موسى يتلقى لوحي الوصايا: منمنمة من القرن التاسع، في بيبليا كارلو كَلْفُو، كنيسة القديس بولس خارج الأسوار، روما، إيطاليا)

٢– بُنية النصّ الأدبيّة

إرميا ٣١: ٣١–٣٤ (النصّ الماسوريّ)

31 הִנֵּה יָמִים בָּאִים נְאֻם־יְהוָה וְכָרַתִּי אֶת־בֵּית
יִשְׂרָאֵל וְאֶת־בֵּית יְהוּדָה בְּרִית חֲדָשָׁה:

32 לֹא כַבְּרִית אֲשֶׁר כָּרַתִּי אֶת־אֲבוֹתָם בְּיוֹם הֶחֱזִיקִי
בְיָדָם לְהוֹצִיאָם מֵאֶרֶץ מִצְרָיִם אֲשֶׁר־הֵמָּה הֵפֵרוּ
אֶת־בְּרִיתִי וְאָנֹכִי בָּעַלְתִּי בָם נְאֻם־יְהוָה:

33 כִּי זֹאת הַבְּרִית אֲשֶׁר אִכְרֹת אֶת־בֵּית יִשְׂרָאֵל
אַחֲרֵי הַיָּמִים הָהֵם נְאֻם־יְהוָה נָתַתִּי אֶת־תּוֹרָתִי
בְּקִרְבָּם וְעַל־לִבָּם אֶכְתְּבֶנָּה וְהָיִיתִי לָהֶם לֵאלֹהִים
וְהֵמָּה יִהְיוּ־לִי לְעָם:

34a וְלֹא יְלַמְּדוּ עוֹד אִישׁ אֶת־רֵעֵהוּ וְאִישׁ אֶת־אָחִיו
לֵאמֹר דְּעוּ אֶת־יְהוָה

34b כִּי־כֻלָּם יֵדְעוּ אוֹתִי לְמִקְטַנָּם
וְעַד־גְּדוֹלָם נְאֻם־יְהוָה

34c כִּי אֶסְלַח לַעֲוֹנָם וּלְחַטָּאתָם
לֹא אֶזְכָּר־עוֹד:

إرميا ٣١: ٣١-٣٤ (النصّ السبعيني)

[31]ἰδοὺ ἡμέραι ἔρχονται φησὶν κύριος καὶ διαθήσομαι τῷ οἴκῳ Ισραηλ καὶ τῷ οἴκῳ Ιουδα διαθήκην καινήν	
[32]οὐ κατὰ τὴν διαθήκην ἣν διεθέμην τοῖς πατράσιν αὐτῶν ἐν ἡμέρᾳ ἐπιλαβομένου μου τῆς χειρὸς αὐτῶν ἐξαγαγεῖν αὐτοὺς ἐκ γῆς Αἰγύπτου ὅτι αὐτοὶ οὐκ ἐνέμειναν ἐν τῇ διαθήκῃ μου καὶ ἐγὼ ἠμέλησα αὐτῶν φησὶν κύριος	[34a]καὶ οὐ μὴ διδάξωσιν ἕκαστος τὸν πολίτην αὐτοῦ καὶ ἕκαστος τὸν ἀδελφὸν αὐτοῦ λέγων γνῶθι τὸν κύριον
[33]ὅτι αὕτη ἡ διαθήκη ἣν διαθήσομαι τῷ οἴκῳ Ισραηλ μετὰ τὰς ἡμέρας ἐκείνας φησὶν κύριος διδοὺς δώσω νόμους μου εἰς τὴν διάνοιαν αὐτῶν καὶ ἐπὶ καρδίας αὐτῶν γράψω αὐτούς καὶ ἔσομαι αὐτοῖς εἰς θεόν καὶ αὐτοὶ ἔσονταί μοι εἰς λαόν	[34b]ὅτι πάντες εἰδήσουσίν με ἀπὸ μικροῦ αὐτῶν καὶ ἕως μεγάλου αὐτῶν
[34c]ὅτι ἵλεως ἔσομαι ταῖς ἀδικίαις αὐτῶν καὶ τῶν ἁμαρτιῶν αὐτῶν οὐ μὴ μνησθῶ ἔτι	

إرميا ٣١: ٣١-٣٤ (ترجمة النصّ الماسوريّ)

٣١ ها أيّام تأتي، يقول الربّ، أقطعُ فيها عهدًا مع بيتِ إسرائيل وبيتِ يهوذا عهدًا جديدًا،	
٣٢ لا كالعهدِ الذي قطعتُه مع آبائهم، يومَ أَخذتُ بيَدهم لأُخرجَهم من أرضِ مصرَ، عهدي الذي نقضوه، مع أنّي كنتُ بَعلهم، يقول الربّ.	٣٤ ولا يُعلّم بَعدُ إنسانٌ قريبَه وإنسانٌ أخاهُ قائلاً: إعرفِ الربّ.
٣٣ لأنّ هذا هو العهد الذي سأقطعُه مع بيتِ إسرائيل بعد تلك الأيّام –يقول الربّ–: سأضعُ شريعتي في باطنهم، وعلى قلبهم سأكتُبُها، وسأكونُ لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا.	٣٤ب لأنّ جميعَهم سيعرفونَني مِن صغيرِهم إلى كبيرهم، يقولُ الربّ.
٣٤ج لأنّي سأغفرُ إثمَهُم، وخطيئتهمُ لَن أذكُرَ مِن بعدُ.	

■ الآية ٣١ هي آية افتتاحيّة. تُعلن هذه الآية عزم الربّ على قطع عهد جديد مع بيت إسرائيل وبيت يهوذا. هناك بُعد إسكاتولوجيّ لهذا العزم لأنّه يبدأ بعبارة: «ها أيّام تأتي».

■ تتطرّق الآية ٣٢ إلى العهد الذي قُطع مع الآباء. تبدأ هذه الآية بنفي (לֹא) لتضع هذا العهد بمواجهة العهد الذي سيُقطع والذي يتكلّم عليه الآية ٣٣. من جهة أخرى، تتوازى الآية ٣٢ مع الآية ٣٤أ التي تبدأ هي أيضًا بنفي (לֹא) يؤكّد المواجهة بين العهدَين ولكن على مستوى المعرفة (راجع الآية ٣٤ب). يُمكننا أيضًا توسيع هذا التوازي ليشمل المُقاربة بين «الآباء» (آ ٣١) و«الإخوة» (آ ٣٤أ)؛ وبين إيمان إسرائيل (الربّ الذي أخرجهم من أرض مصر، آ ٣٢) و«معرفة الرب» (آ ٣٤أ).

■ تتوازى الأداة «لأن» (כִּי) في مطلع الآية ٣٣ مع الأداة نفسها في مطلع الآية ٣٤ب. تتوقّف هاتان الآيتان على العهد المستقبليّ. أضف إلى هذا التوازي المقاربة بين «بيت إسرائيل» (آ ٣٣) و«جميعهم، من كبيرهم إلى صغيرهم» (آ ٣٤ب). من جهة أخرى، تظهر كلّ من هاتَين الآيتَين، بسبب الأداة الافتتاحيّة لكلّ منهما، كشرح للنفي الوارد في الآية التي تسبق كلّ منهما.

■ تجدر الإشارة إلى أنّه، من خلال الواو (וְ) الواردة في مطلع الآية ٣٤، يمكننا أن نستنتج أنّ مضمون آ ٣٤أ وآ

٣٤ب يأتي كنتيجة لتدخّل الربّ في قلب أبناء إسرائيل الوارد ذكره في الآية ٣٣.

■ تظهر أخيرًا الآية ٣٤ج، ليس كخاتمة بل كشرط مُسبق لتحقيق «العهد الجديد». فالأداة «لأن» (כִּי) الواردة فيها تأتي كردّ على عزم الربّ الافتتاحيّ (آ ٣١). بمعنى آخر، إنّ الربّ سيقطع عهدًا جديدًا لأنّه سيغفر الإثم...

خلاصة القول، تُركّز هذه البُنية على مستَويَين: مستوى العهد مع الآباء (آ ٣٢ وآ ٣٤أ) ومستوى العهد المُستقبليّ (آ ٣٣ وآ ٣٤ب)، يُحيط بهما عزم الربّ المبنيّ على الغفران. على أساس هذه البُنية يُمكننا التوقّف على جديد هذا «العهد الجديد».

٣- جديد «العهد الجديد»

هناك عدّة نقاط مشتركة بين العهدَين الوارد ذكرهما في نصّ إرميا ٣١: ٣١-٣٤. يظهر هذان العهدان كنتيجة لقرار الربّ فقط؛ يطال هذان العهدان الطرفَين نفسهما: الربّ نفسه يقطع عهدًا مع الشعب نفسه؛ يشمل هذان العهدان الشريعة (الفرائض والأحكام: תּוֹרָתִי) نفسها، شريعة موسى؛ أخيرًا، يلتقي العهدان على الهدف نفسه: «معرفة الرب».

ولكن، إذا تكلّم إرميا على «عهد جديد» فهذا يعني أنّ هذا العهد لا يخلو من الجديد بالنسبة إلى العهد الأوّل. أوّلاً، يُحدّد إرميا العهد الجديد سلبيًا: إنّه عهد لا يُنقض. ترتكز هذه الضمانة على الأساليب التي سيستعملها الربّ والتي تجعل العهد بعيدًا عن كلّ انتهاك. فالربّ الذي يمنح الغفران أوّلاً سيكتب شريعته على قلب شعبه. هذا العمل المباشر من قِبل الربّ يضمن طاعة الشعب لشريعة الربّ، لأنّ تلك الشريعة ستكون مطبوعة داخليًا في كيان الإنسان، ولن تعود بالتالي بحاجة إلى الوسيط كي يُلقّنها للإنسان. بمعنى آخر، لن يعتبر الإنسان فيما بعد أحكام الربّ كحقيقة خارجيّة تتنافر مع كيانه. في الواقع لا يُعلن إرميا زوال الفرائض ولا سنّ شريعة جديدة؛ إنّه يكشف عن طريقة جديدة تجعل هذه الفرائض حاضرة في ذهن الجميع. فالجديد ليس في تغيير الشريعة بل في تغيير كيان الشعب الداخليّ. من هنا، إذا كانت ديمومة العهد الأوّل ترتبط بأمانة الشعب، ففي العهد الجديد وحده الربّ يضمن استمراريّة العهد من خلال جعل أحكامه في داخل الإنسان.

من جهة أخرى، يعرض إرميا معرفة الربّ كنتيجة لكتابة الشريعة على القلب. فالشريعة الداخليّة تؤدّي من ناحية إلى احتمال اتّباع الوصايا، ومن ناحية أخرى إلى إقامة علاقة شخصيّة مع مشيئة الربّ، وبالتالي إلى معرفته. تجدر الإشارة إلى أنّ هذه العلاقة الشخصيّة لا تحجب أبدًا البُعد الجماعيّ لمعرفة الربّ: كما هي حال التحوّل الذي يُحقّقه الربّ لصالح شعبه (آ ٣٣)، كذلك معرفة الربّ التي هي نتيجة هذا التحوّل تطال الشعب بكامله («جميعهم، من صغيرهم إلى كبيرهم»، آ ٣٤ب).

بكلام آخر، ما يُميّز «العهد الجديد» بحسب إرميا هو الانتقال التسلسليّ من غفران مُسبق، إلى تحوّل داخليّ، إلى إطاعة الأحكام المكتوبة على القلب، إلى معرفة مباشرة للربّ. كلّ ذلك سيُمنح لبيت إسرائيل وبيت يهوذا، أي «جميعهم، من صغيرهم إلى كبيرهم» في الأيام المُزمع أن تأتي. نُشير أخيرًا إلى أنّ الطابع الإسكاتولوجيّ لقطع «العهد الجديد» («ها أيّام تأتي») يترك سؤال زمان تحقيق هذا العزم الإلهيّ وطريقة تتميمه مفتوحًا.

خاتمة: استشهادات كتب العهد الجديد

كان لمضمون نبوءة إرميا (٣١: ٣١-٣٤) التأثير الكبير على كتب العهد الجديد بمجملها. لقد استعملها الإنجيليّ لوقا (٢٢: ٢٠) والرسول بولس (١ كور ١١: ٢٥) في عشاء يسوع الأخير مع تلاميذه. لقد استعملها أيضًا بولس الرسول جاعلاً من نفسه ومن معاونيه خدّام «عهد جديد» (٢ كور ٣: ٦). هناك تلميحات واضحة لمضمون هذه النبوءة في كتب ورسائل أخرى من العهد الجديد. أمّا الاستشهاد الواضح والصريح فيرد في الرسالة إلى العبرانيّين (٨: ٨-١٢؛ ١٠: ١٦-١٧): إنّه من أطول استشهادات العهد الجديد بكتب العهد القديم. ويبقى ضروريًا التوقّف على كلّ واحد من هذه الاستشهادات ودراسة مضمونها ومدى مطابقتها للاهوت إرميا.